من زاوية تربوية

ليس كل ما يلمع ذهبا

إعداد

أ. د/ خالد محمود محمد عرفان

عميد كلية التربية بنين بالقاهرة – جامعة الأزهر

من زاوية تربوية
ليس كل ما يلمع ذهبا

نقابل الكثير من الأشخاص والأشياء ونراهم بأعيننا عن قرب فنعجب بهم أيما إعجاب، ونتحدث حولهم وكأنهم من كوكب آخر من فرط إعجابنا بهم، ونتعامل معهم ونسعد بهم، ومع الأيام تأتي الخبرة الحقيقة فتنقلب الموازين، وتتغير تصوراتنا وأحكامنا وكلامنا حول الأشخاص والأشياء والموضوعات .. فيا ترى، ما الذي حدث؟ ما الذي غير وجهات نظرنا؟

إنها الخبرة؛ فهي التي جعلتنا نفعل ذلك، فقد نظن أن فلانا ملاكا فنجده مع الوقت شيطانا، والمؤدب يصبح وقحا، والجميل يصير قبيحا، والوفي يصبح خائنا، والصدوق نجده كذوبا.. فنتذكر المقولة المشهورة " **ليس كل ما يلمع ذهبا**" فمن كان يدري أن الماس أصله كربون، وأن الإنسان الجميل الذي نراه أصله طين، أو أنه سيصير ترابا، أو حتى كل الدنيا التي حولنا وأخذت بألبابنا ستصير هباء.. إنها الحقائق التي تتكشف حولنا من خلال خبرتنا بها.

لقد دعانا القرآن الكريم والسنة النبوية إلى عدم الانخداع بظاهر الأشياء، وأن نرد كل شيء إلى حقيقته، حتى لا نكتشف أننا كنا نسير وراء سراب، ضيعنا عليه وقتنا وشبابنا وأموالنا، ثم نكتشف الحقيقة الصادمة التي تجعلنا نندم حين لا ينفع الندم.

إن معرفة حقائق الأشياء تجعلنا نضع كل شيء في مكانه الصحيح، ولا ننخدع ، وأولها أن نضع الله في منزلته، ونقدره حق قدره، ومن لم يفعل ذلك ؛ فسوف يصدم عندما يكتشف الحقيقة، قال تعالى: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الزمر: 67)

حب الملائكة وتنزيل كل ملك في منزلته التي أنزله الله فيها بلا إفراط ولا تفريط، وحب رسل الله عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام، قال : " قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ " (البقرة: 97، 98) وماذا سيبقى للمرء بعد عداء الله له؟!

ثم حب الوالدين قبل حب الزوجة، ثم الزوجة قبل الأصدقاء.. وهكذا، إنه ترتيب وجداني قيمي يا حبذا لو روعي في حياتنا.

إن فهم وإدراك حقيقة الأشياء تجعلنا ننزل الناس منازلهم مما يحافظ على استقرار المجتمع وبقائه ، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه: " ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا"(رواه أبو داود والترمذي)

إن الله لم يأمرنا بأن نترك الدنيا، وإنما أمرنا بأن نتعامل معها ومع كل ما فيها، ونضع كل شيء في نصابه دون خداع، وقد وضح الله ذلك بقول دقيق محكم ليس بعده قول، قال تعالى: "وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (45) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (الكهف: 45، 46) والزينة هو الجمال المؤقت الذي سرعان ما يزول ويرجع كل شيء لأصله.

إن من أساب انهيار الحضارات والمجتمعات عدم وضع الشيء في مكانه الصحيح؛ فقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى أن من أسباب انهيار الحضارات غياب العدل وظهور الطبقية الاجتماعية وانفاق الأمم أموالها على اللهو وما لا ينفع...

فعزيزي القارئ .. كن ناقدا لكل ما تراه أو تقرأه أو تسمعه، وضع كل شيء في مكانه ومكانته ، ولا تخدعك الأشياء ببريقها" **فليس كل ما يلمع ذهبا**".

أ.د/ خالد محمود محمد عرفان

عميد كلية التربية "بنين" بالقاهرة